اذكروا سعدا وصحبه المعتقلين

رسالة تاريخية سياسية

عبد القادر حمزه

تذكار وفاء واخلاص

الى الأعزاء المبعدين

الى سعد وصحبه المعتقلين

ضئيل جدا هذا الواجب الذى أؤديه لـكم . ولـكنه بعض ما على وانا واحد من أبناء البلاد التي ضحيتم من أجلها أنفسكم . فاقبلوه وليكن ذكرى لـكم يخيب بها قصد الذين يريدون ان ننساكم . لقد رحلتم ابطالا فليكتب الله لـكم ان تعودوا أبطالا وان تـكون نجاة هذا الوطن على أيديكم . انا منتظروكم وقد تعلمنا منكم الجهاد والجلد فاما فزنا وفزتم واما متنا في ميدان الشرف نحن وانتم سواء

عبد القادر حمزه

في بيت الامة

ظهر يوم الخميس ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٢١

لازمت سعد باشا في الساعات الاخيرة قبل اعتقاله ثم ساعة اعتقاله فرأيت منه ومن رفاقه الذين اعتقلوا معه بطولة تستحق ان يسجلها التاريخ وينبغي ان يعرفها المصريون ليعرفوا كيف كان ابطالهم والقوة الانجليزية تحاول ان تبطش بهم لتبطش فيهم بالروح الوطنية المصرية

كنا ظهر يوم الخميس جمعا في بيت الامــة . فريق مع سعد باشا في القاعة الـكبرى هم : واصف غالى بك ومصطفى النحاس بك وصادق حنين بك وسينوت حنا بك ، وفريق في القاعة الصغرى هم : فتح الله بركات باشا وعاطف بركات بك والاساتذة نجيب الغرابلى وامين عز العرب وحبيب فهمي وكاتب هذه الرسالة . وكان حديثنا نحن أهل القاعة الصغرى في خروج من كانوا قد خرجوا في بعض الصحف ينشئون قولا ولو واهيــا بتأليف وزارة مصرية رغم ما وصلت اليــه الحال بين مصر وانجلترا بمدقطع المفاوضة وتبليغ اللوردالنبي الي عظمة السلطان . وكان رأينا الذى اجمعنا عليه ان خروج هذه الفئة انما كان بتدبير من الراغبين في الوزارة أرادوا به ان يخلقوا بالقوة جوا مصطنعا يبرزون فيه للعمل . وحينئذ ناولنى الاستاذ عز العرب مقالا كتبه في ذلك ولم يتمه فقرأته ووافقته على ما فيه. ثم اخبرنا خبر حديث دار في ذلك بينه وبين الدكتور محمد حسين هيكل . وكانت جريدة الاهرام بيننا وفيها مقال للدكتور فى الموضوع نفسه فقلت للاستاذ عز العرب : ان صاحبــك بدأ بتسفيه الذين يسوغون تأليف وزارة ثم دار حتي انتهي الي هــذا واظنه كل ما يرمي اليه . وأشرت الي فقرة أجاز الـكاتب فيها تأليف الوزارة على شرط واحد هو تحديد ماهيتها بمرسوم سلطانى

وبينما نحن في هــذا اذا بالباب الصغير الذى بين القاعتين ينفتح ، ثم اذا بمصطفى النحاس بك يدخل علينا باسما وعيناه تلمعان وفي يده كتب . ويعرف كل الذين عاشروا النحاس بك ان له ساعات هى ساعات الحوادث الجسام تظهر فيها على وجهه

وفي عينيه وفي كل حركات جسمه دلائل الحماسة بالغة حدها الاقصى حتى ليظن رائيه ان الشعور الذى يقوم في نفسه أدنى الى ان يكون اغتباطا بمصارعة الحوادث من ان يكون تحسبا منها . فهو مصارع يرتاح للصراع ارتياح الشباب الي ركوب الاخطار ، وما اعظم ما يفرح اذا نجح وتحقق له أمل

دخل علينا وفي يده تلك الكتب فشعرنا بأن هناك أمراً . ثم وقف وجعل يلقى الكتب لاصحابها القاءا فالقاها لفتح الله باشا وعاطف بك والاستاذ عز العرب ، فتهافتنا نسأل : ماذا . فقال النحاس بك : أوامر من السلطة العسكرية . ثم فض عاطف بك كتابه واداه اليذامن الانجليزية الي العربية فعلمنا ان المارشال اللنبي يحظر عليه كل عمل سياسى ويأمره بالسفر فى أقرب وقت الى قريته ليكون فيها تحت مراقبة المدير (١) . وكذلك كان الكتابان الآخران . فسألنا : ولمن غير هؤلاء جاءت كتب ؟ فقال النحاس بك وهو يبتسم : للرئيس ولى ولسينوت بك وصادق بك والاستاذين مكرم عبيد وجعفر فخرى

وفى هذه اللحظة جاءنا سينوت بك وهو يضحك . وكان فتح الله باشا لا يزال ممسكا كتابه يقلب فيه مبتسما ، فكان من أغرب المناظر ان كل الذين بيننا ممن أصابتهم الكتب كانوا باسمين غير مهمومين في حين اننا نحن الآخرين كنا عابسين. وكانت أول فكرة لي بعد ذلك أن سألت : هل كتاب الرئيس ككل الكتب

---

(١) هذه هي صورة الكتاب الذي أرسل الى عاطف بك . ومثله كل الكتب التي أرسلت الى الآخرين ما عدا الكتاب المرسل الى سعد باشا :

القاهرة فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٢١

امرني الفيلد مارشال القائد العام أن أبلغكم أنكم مأمورون بموجب الحكم العرفى بالسفر بلا ابطاء الى منزلكم بالريف وأن تمتنعوا عن كل حركة سياسية . وأن أبلغكم ايضا انكم ستكونون تحت مراقبة مدير المديرية التي تقيمون فيها . ولي الشرف ياسيدي أن أكون خادمكم المطيع

ج . ف . كلايتن

برجادير جنرال ومستشار وزارة الداخلية

فاجاب سينوت بك : نعم ولكنه أوسع منه حجراً (١) . فقلت :وعلى أى شىء عزمت أنت ومتي تسافر الى عزبتك ؟ فوقف أمامي وقد سطع بريق عينيه وقال بشدة : ماذا ؟ أنا أخضع للامر ! ثم رفع يده اليمنى مشيراً بها اشارة الاباء وقال: كلا لن يكون هذا

سمعت منه هذا الجواب فأعجبتنى شهامته ولكننى أحسست قلقا يداخلنى فقلت : لا تدع ثورة فكرك الاولى تملكك الى النهاية . فما زاد على أن هز رأسه بسرعة هزة الرفض وابتسم وأجاب بتلك الحماسة المتدافعة التى يعرفها فيه كل أصدقائه : لا . لا . أبداً . أسافر الى عزبتى مكرها كما سافرت من قبل ولكنني لا أسافر اليها خاضعاً مطيعاً

وحينئذ اتجهت فكرتنا الى الرئيس وكان النحاس بك قد سبقنا اليه فانتقلنا كلنا الى القاعة الكبرى ما عدا الاستاذ حبيب فهمي فانه بقى فى القاعة الصغرى ثم لم أره بعد ذلك .

دخلنا على الرئيس فوجدناه جالسا على كرسي في وسط القاعة والي يمينه واصف

---

(١) هذه صورة الكتاب الذي أرسل الى سعد باشا :

القاهرة في ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٢١

الى صاحب المعالي سعد زغلول باشا بالقاهرة

أتشرف بأن أبلغكم انى تلقيت من الفيلد مارشال القائد العام تعليمات بأن أبلغ معاليكم الامر التالي وهو :

« يحظر بهذا على سعد باشا زغلول بموجب الحكم العرفى ان يخطب فى الناس أو أن يشهد اجتماعا عمومياً أو أن يستقبل الوفود أو أن يكتب الى الصحف او يقوم بعمل من الاعمال السياسية . وعليه ان يغادر القاهرة بلا ابطاء ويقيم في منزله في الريف تحت مراقبة المدير »

واتشرف بأن اكون خادم معاليكم المطيع

ج . ف كلايتن .

برجادير جنرال ومستشار وزارة الداخلية

بك واقفا يداعب سلسلة ساعته كما هي عادته ، وأمامهما النحاس بك جالساً الي منضدة في وسط القاعة يكتب ما يمليــه عليه الرئيس وبجانبه صادق بك واقفا يتكىء بيده اليسري على كرسى النحاس بك ويتابع بعينيه ما يخطه القلم

ولقد كنا كلنا شاعرين برهبة الموقف ، وكان سعد باشا منصرفا الى الاملاء فلم نحي ووقفنا صفابين النافذة والبــاب الصغير . فـكان على يمينى فتح الله باشا فالاستاذ الغرابلي فعاطف بك ، وكان على يسارى الاستاذ عز العرب فسينوت بك . ولـكن هــذا الاخير لم يقف الا قليلا ثم أخذ كرسيا وجلس قريبا من المنضدة والنحاس بك

لم نحي غير ان الرئيس نظر اليناساعةدخولنا وقال : تعالوا واشتركوا معنا . ثم استمر يملي . وما كانت هذه بأول مرة رأيته فيها يملي فـكانما تسكن الطبيعة من حوله لتنصت ، ولـكننى فى هــذه المرة شعرت كانما يحيط بنا سكون هو الخشوع . ولا غرو فقد كان ظاهرا ان السياسة البريطانيــة ، وقد توعدت في « تبليغها » ان تحارب الحركة الوطنية حتي تقتلها ، شهرتاليوم سيفها وخرجت تضرب به رأس هذه الحركة .فـكانت الساعة ساعة صراع الى الموت ، ليس بين اللورد اللنبي وسعد باشا ، بل بين انجلترا ومصر . انجلترا بكلما في يدها من بطشالقوة الماديةومصر بكل ما فىقلبها من الايمان بحقها وما في نفوس ابنائها من العزم والجلد

كانت ساعة ينطق فيها ســعد باشا « بنعم » فيسجل على روح مصر الرضى بالخوف والهزيمة . أو ينطق « بلا » فينزهها من الضعف ويثبت لهاالقوةوالشمم . ولقد أجاب فقال« لا » فـكان بطلا وكانت مصر به شــهمة كتب التاريخ لها في يومها ذاك سطرا من ذهب

ولعل كثيرا من الذين يقفون بعيدا يقولون وهل كان لسعد باشا ان يجيب بغير ما أجاب به حتي تكون في جوابه بطولة . فهؤلاء انما يقولون ذلك لانهــم واقفون بعيدا لا يمسهم ضر ولا تنزل بهم نازلة ، أما لو انهم كانوا مــكان سعد باشا وهو يعلم انه الهدف الذى تريده السياسة البريطانية وتتمحل الاعذار كلها

لضربه ، ثم هو شيخ ضعيف البنية مضطر ان يعيش بنظام طبي خاص ليحافظ على صحته ، لو ان هؤلاء الواقفين بعيدا كانوا مكان سعد باشا ثم فكروا فى ان كلمة « لا » معناها فتح الباب واسعا لظلمات مجهولة لا يعرف لها كنه ولا حد ،لعلموا مقدار ما في جوابه من الرضى بالتضحية . ولكن الجواب ليس تضحية فحسب ، بل هو فوق ذلك بسالة وقفت بها مصر الصغيرة العديمة النصير المجردة من السلاح أمام انجلترا المسلحة وسيدة العالم تهزأ بقوتها وسلاحها وتقول لها : كلا ، ما كنت لاجبن ولا لاخضع

***

مؤتمر تاريخى

هنا لا اكذب الله ، فقد كان لى في الجواب رأى وسط بين لا ونعم هو الجمع بين الاحتجاج من جانب وتجنيب الرئيس الاستهداف للظلمات المجهولة من جانب آخر . ولكن رأيي هذا لم يرج ، لا بل انه قوبل بالرفض البات كي تكون كلمة « لا » فى جواب الرئيس حاسمة وتكون التضحية من جانبه كاملة

أملى سعد باشا ، ثم لما كانت فكرتى ان يكون الرد احتجاجا يتلوه فيما بعد السفر الي العزبة ظهر غرضى هذا فى ملاحظاتي . وحينئذ توقف سعد باشا عن الاملاء لان كل الموجودين تقريبا جادلوني بسرعة . وانما اقول تقريبا لانى لم أجد غير واحد هو الذي وافقني ، وقد كانت موافقته لى سلبية محضة لا يصاحبها شيء من التأييد

اما الرئيس فانظر كيف كان موقفه . انه رفع رأسه كمن يتقدم لمصادمة الحوادث ويأبى أن يعتريه في مصادمتها وهن اولين وقال: «انتم شبان لا يأخذكم الضعف الذى قد يأخذ الشيوخ في ملاقاة الخطوب. فالرای لکم وانا عندما تتفقون عليه . ولكن اعلموا اني لا يمسنى ضعف ولا تميل نفسى لان استبقى بقية من التضحية الواجبة »

وحينئذ لم اتمالك ان أعجبت وعجبت في آن واحد . أعجبت بما في كلمته

من الشهامة ، وعجبت من ان هذاالرجل الذي وصفهشانئوه بالاستبدادفى الرأى يخضع لراي غيره ، لافي تقرير مسألة من المسائل النظرية ، بل في مصيره هو نفسه امام سيف شهره العدو في وجهه . حقا انى رايت هذا عجيبا ، ولقد هممت وقتاما ان اقول انه لايحق لاحد غير الرئيس ان يبت فى امر خاص بشخصه . ولكننى لم اجد لا فى سيما سعد باشا ولا في الآراء المتداولة ما يشجعنى على ابرازفكرتي فطويتها فى صدرى

جرت المناقشة وكانت قصيرة فقال النحاس بك وسينوت بك فى صوت واحد تقريبا : يجب ان يكون الجواب رفضا محضا وعلى اللورد اللنبى ان ينفذ امره بالقوة

فقلت ألا تخشيان أن يعد الرفض مخالفة لامر صادر من السلطة العسكرية فقالا بشدة : ليكن ذلك فليس في وسع الرئيس أن يجيب بغير الرفض

وانضم اليهما الباقون كلهم الا فتح الله باشا فقد بقي ساكتا وهو الذي قلت انه وافقنى في كلمة أسرها الى ولكنه لم يؤيدني . واتفق ان مر واصف بك أمامي فقلت له همسا : ألا ترى ان هذه آراء خطرة ؟ فأجاب بلا تردد :وهل نحن هنا الا لذلك

وفي هذه اللحظة دخل الاستاذ مكرم عبيد فألقي في الموضوع برأيه حاسما قوياً وبه انتهت المعركة وأقفل الجدل . قال وكانه يخطب في قوم يريد أن ينقل الى صدورهم مافي صدره من النار المتقدة : لا جواب غير الرفض . ان العالم هنا وفى أوربا يترقب الآن ما يفعله الرئيس . ليأت الجنود ولينتزعوه بسلاحهم من داره كي يكون التضحية الماثلة فى كل وقت أمام أمته

بعد كل هذا لم يبق الا أن يقول الرئيس كلمته ، فتالله ما عشت لا أنسى نظرته الينا اذ ذاك نظرة الجندي الفتى لا نظرة الشيخ التعب وهو يقول بصوت مملوء حزما وقوة : شكراً لكم . لقد أصبتم ما فى نفسي . فلنكتب الجواب وليذهب به الرسول حالا

وكان واصف بك قد جلس منذ قليل أمام مكتب الرئيس وجعل يكتب على

حدة ، فهب يقول : وضعت مشروع جواب هو هذا . ثم قرأ باللغة الفرنسية فقال الرئيس : لا بأس به في مجموعه . وشرع يملي لى النحاس بك ما كان الجواب الذي يعرفه الجمهور (١)

ولم يحـدث بعدهذا غير انى استوقفت الرئيس عند قوله «وهو أمر ظالم احتج عليه بكل قوتى اذ ليس هناك ما يبرره » وسألت : ألا يحسن الاستغناء عن كلمة « ظالم » اكتفاء بالـكلمات التى تليها ؟ فنظر الرئيس الي وقال بشمم : كلا . وايده الـكل في ابائه . وكان الاستاذ عز العرب قد تابع أدوار المناقشة واشترك فيها وكان تحمسه في هذه الساعة قد بلغ أشده وهو بجانبي فقلت له : لا عجب فهذه حماسة الشباب . فاستعادنى الرئيس مافهت به لانه لم يسمعه

ثم سأل احدهم ، ولا اتذكر من هو ، كيف يجيب الباقون . فاتفق الـكل بسرعة على ان يكون جواباعضاء الوفد احالةالى جوابالرئيس ، أما الآخرون

---

(١) هذا هو الجواب الذى رد به سعد باشا :

جناب الجنرال كليتن مستشار وزارة الداخلية

اتشرف باخباركم انى استلمت خطابكم بتاريخ اليوم الذى تبلغوننى فيه أمر جناب الفيلد مارشال اللنبي بمنعي من الاشتغال بالسياسة والزامي بالسفر الى عزبتى بلا تأخير للقيام بها تحت مراقبة المدير . وهو أمر ظالم احتج عليه بكل قوتي اذ ليس هناك ما يبرره

وبما اني موكل من قبل الامة للسعي فى استقلالها فليس لغيرها سلطة تخليني من القيام بهذا الواجب المقدس

لهذا سأبقى فى مركزى مخلصاً لواجبي . وللقوة ان تفعل بنا ما تشاء افرادا وجماعات فانا جميعاً مستعدون للقاء ما تأتي به بجنان ثابت وضمير هـادىء علما بأن كل عنف تستعمله ضد مساعينا المشروعة انما يساعد البلادعلى تحقيق امانيها فى الاستقلال التام .

مصر فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٢١ سعد زغلول

رئيس الوفد المصرى

فكل منهم حر في ان يجيب بما يتفق مع حالته الشخصية (١)

وكانت الساعة اذ ذاك واحدة ونصفاً فدعانا الرئيس الى الغداء معه فقبل منا من قبل واعتذر من اعتذر على ان يكون اعضاء الوفد مجتمعين في الساعة الثالثة .

***

وقفة امام جواب الرئيس

لحظة واحدة اقفها هنا أمام جواب الرئيس

بعد ان مر على اعتقال سعد باشا ونفيه يومان كنت فى بيت الامة مع جمع من المحامين وذكرنا جواب سعد باشا فلاحظ أحدهم ان فيه شبها قليلا بالكلمة التى قالها ميرابو فكانت من مفاخر الثورة الفرنسية . ففاجأتنى علم الله ملاحظته لا لاننى كنت أجهل هذه الكلمة ولكن لاننى وقد سمعت الجواب يملى وبقيت الفاظه تتردد في ذهنى طول ذينك اليومين لم يتجه خاطرى الى تلك المشابهة

ولقد كنا نحن الذين سمعنا املاء الرئيس مصغين تنزل الكلمات الي قلوبنا فترتسم فيها وما واحد منا الا وقد عرف ميرابو وكلمته ومع ذلك لم يلح لي ان احدا ذكرهما في تلك الساعة. فلى ان أؤكد ان المشابهة لم تقع الا وحياً أوحى به ان الموقف فى الحالتين واحد والروح والشمم في البطلين واحد أو هما في بطلنا يزيدان

---

(١) هذا هو الجواب الذى اجاب به اعضاء الوفد :

جناب الجنرال كليتن مستشار وزارة الداخلية

اتشرف باخباركم اني استلمت خطابكم بتاريخ اليوم الذى تبلغوننى فيه أمر جناب الفيلد مارشال اللنبي . وردى عليه هو نفس الرد الذى ارسله معالي رئيسنا سعد باشا زغلول اليوم على الخطاب المرسل اليه بالمعنى ذاته

وتفضلوا بقبول فائق احتراما تنا

سينوت حنا . مصطفى النحاس

وليم مكرم عبيد

كلمة ميرابو هي قوله ورسـول الملك يطلب من مندوبي الشعب أن يتفرقوا « اننا هنا بارادة الشعب فلن نخرج الا بقوة البنادق » . وكلمة سـعد باشا هي قوله « انى موكل من قبل الامة للسعي فى استقلالها فليس لغيرها سلطة تخليني من القيام بهـذا الواجب المقدس » ثم قوله بعد ذلك : «ولهذا سأبقى فى مركزي مخلصا لواجبي . وللقوة ان تفعل بنا ما تشاء أفراداً وجماعات فانا جميعا مستعدون للقاء ما تأتي به بجنان ثابت وضمير هادىء علماً بان كل عنف تستعمله ضد مساعينا المشروعة انما يساعد البلاد على تحقيق أمانينا فى الاستقلال التام». فلابد ان يري كل انسان انه وان كانت الروح التى الهمت زعيم فرنسا كلمتـه هي نفسها التى الهمت زعيم مصر كلماته ، الا ان زعيم مصر كان أوفى حجـة وأبلغ تعبيرا

***

المدينة في غضب

لم أعد الى بيت الأمة الا فى نصف الساعة الخامسة . وكنت اثناء اجتيازى المدينة قد وجدت الناس في هرج كأنما كل شيء قد تغير . فالشوارع مزدحمة بجماعات منهم الواقفون يصغون بلهفة وشغف لقارىء يقرأ جريدة ، ومنهـم السائرون مسرعين كأنمـا فقدوا شيئا فهم يجـدون في اثره قبل ضياعه . وباعة الصحف يجرون شمالا ويمينا ينادون بأصوات عالية ويقذفون الصحف فيتخطفها الجمهور . والناس كلهم أخذتهم هزة عصبية غريبة : الماشي مسرع والراكب مسرع وسائق الترام مسرع ، حتي محصل الترام يأخـذ منك القرش بسرعة ويعطيك التذكرة بسرعة ، وحتى جارك الجالس بجانبك تخاطبه فتراه مقطب الجبين يجيبك جوابا جافا سريعاً .

لماذا كل هذا ؟

لان جريدة «الافكار» كانت قد صدرت منذ ساعة ونشرت الخبر :

مررت بالعتبة الخضراء فرأيت الجنود يطاردون الناس بالعصي ويطاردهم الناس بالطوب والحجارة . وقيل لي ان بعض هؤلاء الجنود اطلقوا رصاصا .

ثم مر الترام بي في شارع عبد العزيز فرأيت مظاهرة لا تزال فى بدايتها يقودها شاب حمل طربوشه في أعلى يده كما تحمل الراية وجعل ينادى بصوت تظهر فيه بحة الالم والمتظاهرون يرددون من خلفه « ليحي سعد باشا » . وبدأ الغلمان يقذفون عربات الترام بالطوب فلم أجد غير ان أواصل مشوارى في عربة

ولما صارت العربة بى قريبا من بيت الامة وجدت جموعاً من الشبان يسدون الطريق وقد وقفوا الى جانب صف اقاموه من حجارة . فاستوقفوا عربتي وجاءنى فريق منهم فلما عرفونى حيونى واوسعوا طريقا . وكذلك كانت الحال في كل الطرق الموصلة الي بيت الامة

لما ذا احتشدت هذه الجموع ؟ وما معنى وقوفها ترصد الطرق ؟

انهم جميعا من المتعلمين الاذكياء لا من الغوغاء ، ولابد ان يكونوا قد رأوا غير مرة فعل البنادق والرشاشات في جموع المظاهرات، فحال ان يكونوا قد اعتقدوا لحظة واحدة انهم بوقوفهم وبالخطوط التى انشأوها من الحجارة مانعون بيت الامة . ولكنهم مع ذلك وقفوا وسدوا الطرق لانهم ، وقد علموا ان العدو شهر سيفه في وجه سعد باشا ، هبوا بأول عاطفة ثارت فيهم يدافعون عنه بكل ما يملكون ، أي بارواحهم التى لا يملكون غيرها مع الاسف . مثلهم في ذلك كمثل الام ترى اللصوص يدخلون على ابنائها مدججين بالسلاح وهي عزلاء عاجزة فلا يردها ذلك عن ان تقاتل دونهم حتى تموت

عاطفتهم هذه هي الغضب للوطن اعتدى عليه وامتهن شرفه . وتطوعهم لان يبذلوا ارواحهم من أجلها دليل علي مبلغ عمقها في نفوسهم . فلعمرى ان كان لنا رجاء فى ثنايا هذا الافق الذى يطبق علينا مظلما ، فهذا هو رجاؤنا الذى لن يخيب . وليفعل الاعداء ما شاءوا فانهم غير مستطيعين ان يصدوه وسوف تنهار كل قوتهم أمام قوته

دخلت بيت الامة واتجهت الي القاعة الصغرى فوجدت فيها فتح الله باشا وعاطف بك فسألاني كيف المدينة . فقلت رأيتها غضبي وسمعت ان رصاصا اطلق .

ثم علمت منها ان سعد باشا ارسل جوابه الى مستشار الداخلية فى بيتـه . وتوالي القادمون فكان كل واحد منهم يصف ما شاهده في طريقه فيبلغنا جديدا . وكانت الاصوات اثناء ذلك تتعالي في الشوارع المحيطة بالبيت هاتفة لمصر وسعد باشا منادية بسقوط الظلم ومشروع كرزون ، فبينا نحن في هذا اذا بدوي طلق نارى يصل الي آذاننا آتيا من بعيد فقال واحد : أسمعتم ؟ فأجاب فتح الله باشا وعيناه تقدحان شررا : نعم هذا رصاص يطلق على مقربة منا

ثم تتابع صفير الرصاص يقترب من البيت شيئا فشيئا فتملكتنا جميعا كهرباء الغضب. وقال حنفى ناجى بك : لعله يطلق في الهواء.... ولكنه لم يكد يتم كلمته حتى قال الكل بلسان واحد تقريبا : لا . لا . انه يطلق في الناس ، وهنا أمام البيت . ثم اسرعنا فخرجنا الي الممشى المرتفع في الحديقة كأنما أردنا ان نستهدف للرصاص كي نشارك اخواننا الذين يسقطون

وقفنا في الممشى فرأينا جنـدا ، مصريين مع الاسف ، يطردون أمامهـم بطلقات من النار طوائف الناس . لم يطلقوا طلقتين أو ثلاثا بل طلقات متتابعة كما لو كانوا جيش ابراهيم باشا في معارك المورة أو معركة نصيبين(١). ومع ذلك لم يقف هؤلاء الجنود ولم يطلبوا شيئا بل كان كل ما فعلوه أن مروا . فكأنما شق عليهم أن يمروا فلا يتركوا أثرا أو أن يفوتهم في هذه الفرصة تجريب بنادقهم في قوم من أبناء وطنهم ليس في يد واحد منهم عصا أو سلاح . ألا قاتلهم الله انهم كانوا مجرمين

قيل بجانبي فجأة : ها هو مصاب . ثم تزاحم الكل يتشوفون فنظرت فاذا باب البيت قد فتح واذا اثنان قد دخلا يحملان جريحا ويطرحانه في أرض الحديقة. ثم قيل : ها هو آخر . ودخل ثلاثة يحملون جريحا ثانيا . فحينئذ والله رأيت الدموع تترقرق في كثير من العيون حولي وسمعت اثنين ينتحبان ويرسلان الزفرات كأنها شواظ من نار

---

(١) معارك المورة هى التى انتصر المصريون فيها على اليونانيين الثائرين . ومعركة نصيبين هي التي انتصر المصريون فيها انتصاراً كان اساس استقلالها فى عامى ١٨٤٠ و ١٨٤١

بكينا ، لا خوفا وايم الله فما كان فينا فى تلك الساعة من لا تلتهب نفسه غضبا أو من يحس للحياة قيمة ، ولكننا بكينا رثاء لاخواننا هؤلاء الذين سقطوا ، لا بل رثاء لاخواننا أولئك الذين ضربونا . انهم ضربونا ونحن مع ذلك نعدهم اخوانا

وما نشعر ونحن علي حالنا هذى الا وفى الحديقة ضجة والناس يوسعون طريقا ويلتفتون الى باب الحرم ، وفي مثل طرفة العين انتظموا فصاروا صفين متقابلين وسادهم السكون ودلت علامات الخشوع التي ارتسمت فى وجوههم على أنهم ينتظرون عظيما · وجاء خادم فوقف في رأس السلم ، ثم انفتح الباب ومشى الخادم فاذا الخارج ملاك رحمة أرسلته العناية الآلهية يواسي الجريحين ، وما كان هذا الملاك غير قرينة سعد باشا علمت بما في الحديقة فلم تخف دوي الرصاص وسارعت تبذل من عنايتها حتي يجيء رجال الاسعاف . فكانت في عملها هذا شجاعة ورحيمة ، وكنا وهي تقلب الجريحين ننظر اليها فنحسب انها رسول هبط من السماء ليعظنا عظة الشجاعة ثم ليلقي في الوقت نفسه بجانب شواظ الغضب الذى تلتهب به نفوسنا كأسا من سلام ورحمة

هنا خطر لي أن أرى الرئيس فدخلت القاعة الكبرى فوجدته فى جمع وهو جالس تتقد عيناه ويظهر الحزن العميق فى وجهه. وكانت الاقوال تتضارب أمامه فى ما فعله الجنود فلما دخلت قال لي: ما ذا شاهدت أنت؟ فوصفت ما شاهدته بايجاز . فقال بصوت مؤثر موجها خطابه الينا جميعا :

أرأيتم الى أي شيء أدت الخطة التي اتبعتها الوزارة فى الاشهر الماضية ؟ لقد كنا حتي اليوم وجها لوجه مع أعدائنا الانجليز فكان هؤلاء هم الذين يصادموننا ونصادمهم، أما اليوم فالانجليز يعملون وجنود من المصريين هم الذين يسفكون دماء المصريين . حقا ان هذا فوز للسياسة الانجليزية لا يسأل عنه الا الذين مهدوا له السبيل

ثم سأل : كم عدد المصابين . فقلت : لم أر غير اثنين هما هنا فى الحديقة. فقال أحد الحاضرين انهم أربعة . وقال آخر انهم أكثر وقدمات بعضهم. فأطرق

لرئيس مسندا يديه الى الكرسى الذي هو جالس عليه وقد ظهر الالم فى وجهه ثم ا رفع رأسه بعد قليل وقال بصوت المستعطف : لماذا تخفون عنى الحقيقة

فقلت : أؤكد للرئيس انى لم أر غير اثنين جريحين

فبان عليه كانه لم يصدق وقال : عساكم أن تكونوا دعوتم رجال الاسعاف . ثم رفع يده اليمنى مشيرا اشارة الامر وقال : ادعوهم على عجل

فاجاب واحد منا : دعوناهم وها هو التلفون يدق لدعوتهم مرة أخرى .

وفى هذه اللحظة دخل الطبيب نجيب اسكندر وتلاه الطبيب محجوب ثابت بك فقال أولهما انه فحص الجريحين اللذين فى الحديقة فرأى واحدا منهما مصابا فى جنبه الايسر اصابة خطرة والاخر مصابا فى فخذه . وقال الثانى انه شاهد قريبا من البيت جرحى ستة منهم اثنان لا يرجيان

فوقعت هذه الكلمات من الرئيس ومنا جميعا وقع السهم اذا أصمى وجلسنا كما يجلس أهل الميت غارقين فى الحزن كانما على قلوبهم جبال . ولبثنا كذلك ساعة تتابع فيها القادمون وتعدد الراوون فسمعنا على السنتهم من أخبار المدينة كل مقلق مزعج فلم يبق لدينا شك فى أن ثمت عاصفة تهب وغضبا قارب ان ينفجر

***

الرئيس في السهرة

كانت الساعة اذ ذاك السادسة وكنت قد عرفت ان المصابيح فى الشوارع كسرت وان العربات عطلت وان الترام وقف والطرق لم تبق مأمونة ، فانتهزت فرصة رأيت فيها صاحباً لي يخرج في سيارة ورجوته ان يرافقنى ففعل . ولذلك لم امض السهرة مع الرئيس ولكن كثيرين غيري أمضوها معه وقد طلبت الى واحد منهم هو صاحب العزة محمود بك النقراشي ان يكتب لى ماعرفه فكتب ما يأتي:

« قابلنى الاستاذ محمد كامل حسين المحامى في « صولت » مساء الخميس ٢٢ دسمبر سنة ١٩٢١ حوالى الساعة العاشرة وسألنى ان كان من الممكن ان نقابل الرئيس فى مثل هذا الوقت ، فأجبته باني أرجح أن يكون قد دخل ليستريح ولكنى مع ذلك أشرت بان نذهب معا الى بيت الأمة لعلنا نحظى بلقائه . فلم

يتردد فى القبول وعرض الفكرة على اخوانه الذين كانوا في «صولت» وهم الدكتور سيد كامل ، والاستاذ محمود عزمي ، والاستاذ شفيق منصور ، وتوفيق افندى دياب وحسين افندي رافع ، والاستاذ جلال الدين ناصف وغيرهم فوافقوا عليها . ولما علم المصريون الموجودون فى « صولت » بعزمنا انضموا الينا فذهبنا كلنا الى بيت الامة فوجدنا المتاريس مقامة بالقرب منه أقامها الشعب من اشجار وحجارة ومن حواجز سكة حلوان . وكان أمام المنزل طلبة فاخبرونا انه يوجد فى اطلال المنزل المجاور لبيت الامة مكمن لرجال البوليس وقد اطلقوا منه النار على الواقفين. وكان فى بيت الامة ساعة دخولنا محمد صدقي باشا وفتح الله بركات باشا وعاطف بك بركات،وحسن افندى يسن ، وحافظ افندى عمار ثم جاء الدكتور محجوب بك ثابت . ولما علم الرئيس بحضورنا تفضل وحضر لمقابلتنا وكان معه السيد محمد بك وحيد وطاهر بك اللوزى وسعيد بك زغلول

دخل الرئيس المكتب وهو باش الوجه فصافحنا جميعا . ولما استقر بنا المقام تكلم الدكتور سيد كامل فقال ما مؤداه ان الانجليز أرادوا أن يضربونا فاعتدوا على معاليكم باعتبار انكم تمثلون الامة فكان ردكم على هذا الاعتداء خير مثال لتفانيكم فى القيام بالواجب ونحن نشكركم يا معالى الرئيس لانكم كنتم خير ممثل لنا فى رد هذا الاعتداء بذلك الشمم والاباء . ان رد معاليكم على اللورد للنبى سيبقي في تاريخ الحركة المصرية علما يهتدى به فى مقاومة الظلم والاعتداء وسيضم هذا الخطاب الي صفحات الاعمال المجيدة التى يقاوم بها الابطال ظلم الغاصبين ولا ريب في ان الامة تلتف حولكم وتؤيدكم في مقاومة احكم الاجنبى .

فاجاب الرئيس قائلا انه يسره ان تقابل الامة عمله هذا بالارتياح وانه اعتقد دائما أنه انما يعبر عن أرادة الامة فهو يغتبط كلما رأي ارتياحا من الامة لعمله .

ثم طلب توفيق افندي دياب اذنا بالكلام فأذن له فقال : مولاي ، يحدث احيانا ان يعق الابن أباه البار ويخرج عليه ولكنه عند الملمات يرجع اليه معتذرا

فاذا ظهر منا في وقت من الاوقات اننا وقفنا موقف الابناء العاقين ازاء أبيهم البار فاننا نعود اليوم الى فطرة الابناء البررة ونستغفر أبانا عما فرط منا ونحن على يقين من انك تفسح لنا صدرك وتقبل توبتنا

فأجاب الرئيس بأنه يتقبل ذلك بالسرور وينسى كل ما فات . وحينئذ قام توفيق افندي دياب وقبل يد الرئيس

ثم استمر الرئيس فى الحديث فقال انه راسخ الاعتقاد في وطنية المصريين وتصميمهم على الحصول على استقلالهم وان وسائل الضغط التى يتبعها الانجليز لمناهضة الحركة المصرية مقضى عليها بالفشل . وانه يقبل كل اعتداء عليه من الانجليز قرير العين مطمئن النفس واثقاً بأن الامة لن تسكت عن المطالبة بحقها الشرعي .

واستمر بنا المجلس الى قرب نصف الليل فاستأذنا الرئيس في الانصراف فأذن لنا وودعناه .

وكان حديث الرئيس معنا عاديا لا بل انه كان يتخلله المزاح . وفعلا تبسط معنا ومزح فى استعمال بعض الكتاب كلمة « فحسب » بدلا من كلمة « فقط » . فكنت وأنا اراه كذلك أتخيل انه لم يطرأ عليه طارئ مع انه لم يكن لديه شك في ان الجنود آتون من ساعة لأخرى لاعتقاله » . اه

* * *

اعتقال سعد باشا

عدت الى بيتي فاجتزت في عودتى شوارع كنت أعرفها فى مثل تلك الساعة تتلاقى فيها . أشعة الانوار ، وتزدحم الاقدام ، وتجري العربات ، فرأيتها لاول مرة ولا نور فيها ولا قدم ولا عربة كأنما بدلت من العمار خرابا أو كأنما طوى الناس طاو وانمحت آية النور فلم يبق الا ان ينعق بوم على اطلال فى ظلام دامس .

لم يكن نور لان الشعب الغاضب صب بعضا من غضبه على المصابيح وقوائمها فاتلفها ، ولم تكن قهاوى ولا حوانيت لان أصحابها خافوا فسارعوا الى اقفالها ؛ ولم يكن مارة لأن الناس سمعوا الرصاص وعلموا ان المدينة في ظلام فلجأوا الى

وما مضت دقيقتان أو ثلاث حتى ضج فجأة كل الذين حولى فنظرت فاذا سعد مقبل وأمامه ضابطان ومن خلفه حاجبه وخادم ، وهم جميعاً يمشون في نطاق من الجنود . رأيته يمشى بعد ان نزع من أهله وبيته وأحيط بالجند والسلاح وفتح أمامه باب التضحيه على مصراعيه مجهول الاول مجهول الآخر فأقسم ما رأيت فيه وفى مشيته الا بطلا عالى الرأس مطمئن النظرات ، ولوددت أن رآه معى فى تلك الساعة كل أبناء مصر ، اذن لرأوا سعدهم أسدا هو أثبت ما يكون حين تنازله الحادثات كان يمشى هادئاً منبسط الجبين ليس في خطوه اسراع ولا تثاقل . ولا فى نظراته ولا فى حركات جسمه أثر واحد يدل علي قلق أو اضطراب ، ويده اليسرى فى جنب معطفه ويده اليمني تحرك عصاه حركة عادية منتظمة كأنه لا يرى لكل ماهو واقع ولا لكل الذين هم محتاطون به وجودا أكثر من العدم

وما رأيته تلفت يميناً أو شمالا ، ولا وقفت عينه عند واحد من الذين يرافقونه مسلحين ، ولكنه لما رآنا نحن واقفين مد نظره الينا وسرحه فينا وحينئذ لم يملك بعضنا أنفسهم وسمعت فى الحال قائلا يقول والبكاء يغالبه « الى أين ياسعد ؟ الى أين ؟ ... الى أين ؟ ... » ثم غلبه البكاء فانتحب وانتحب الكل معه

انتحبوا وضجوا الان تصبرهم كان قد بلغ الغاية وزيادة ، ولقد كانوا الى ما قبل هذه اللحظة حانقين يأبون ان يرى الخصم فيهم ضعفاً ولكنهم لما شاهدوا بأعينهم سعدهم يؤخذ هذا الاخذ الى حيث لا يعلم ولا يعلمون تهدم عزمهم كله ولم يبق فيهم جلد .

وما كان انتحاب هؤلاء المنتحبين بأبلغ من عمل صبية رأوا بأعينهم ما رأوا ومع ذلك صمموا على ان يخاطروا بأنفسهم ، فجروا خلف سعد عشرين أو ثلاثين كأنهم يهجمون صفاً متساندا في معركة منظمة ، فلما رآهم الجنود حولوا وجوههم اليهم وصوبوا البنادق نحوهم يهددونهم بالموت ان هم تقدموا ، وما زال الجنود كذلك وهم يمشون بظهورهم حتى وصلوا الى الاتوموبيلات وركبوا

ركب سعد وركب الضابطان وركب الجنود كلهم ، ثم تحركت الاتومبيلات، فلا

والله ما رأيت فى حياتى ساعة كتلك هلعت فيها القلوب ،وارتجفت الاقدام ، واشتد البكاء ، وعلت الاصوات تنادي وتقطعها الزفرات : « سعد ... ياسعد ... الى أين ياسعد ؟ » . وامتدت الايدى نحو الاوتومبيلات كانها تستعطفها وتسألها أن تنف ، ولكن الاتومبيلات جرت كأنها البرق الخاطف ، وتركت الناس فى مكانهم يصيحون ويبكرن ....

كيف كان الاعتقال

طلبت الي ذي قرابة بسعد باشا أن يصف كيف كان الاعتقال فكتب لي ما يأتى :

« حادثت سعد باشا مساء الخميس فسألته ماذا يظن أن يفعل الانجليز بعدجوابه. فعلمت انه يرجح كثيرا أن ينفى . ومع أن هذا كان اعتقاده فانه ما تغير ولا ظهرت علي وجهه في وقت من الاوقات علامات اشتغال البال

ولم ينزعج سعد باشا بعد حادث الجرحي الذي حدث حوالى الساعة الخامسة بعدالظهر الا لحادث واحد حدث من نوعه في منتصف الساعة العاشرة وذلك ان الجنود مروا أمام البيت مرة اخري وأطلقوا اثناء مرورهم الرصاص ولكنهم في هذه المرة لم يصيبوا احداً والحمد لله . وللآن لم أفهم لماذا فعلوا ذلك لانى لم أجد سبباً يبرره .

وبعد أن صعد سعد باشا لينام فى نصف الليل علم ان الحديقة امتلأت بجماعة من الشبان صمموا على أن يقيموا حيث هم ليكونوا معه ساعة يجيء الجنود الانجليز . فنزل وقابلهم وشكر لهم عواطفهم وطلب منهم أن يعدلوا عن تصميمهم خوف أن يكون وجودهم سبباً فى حدوث احتكاك بينهم وبين الجنود . فألحوا فى البقاء وقالوا انهم راضون بالتضحية مهما كان نوعها . فألح عليهم فى العدول وقال لهم اذا لم تعدلوا فانى لا أستطيع أن افارقكم وسوف أبقى معكم هنا فى الحديقة طول الليل فان كنتم تريدون أن يهدأ بالى عليكم فاقبلوا رجائى. وحينئذ لم يسعهم الا أن قبلوا وانصرفوا

وكانت السيدة الجليلة حرمه قد اتفقت معه في الليل على أن ترافقه أينما ذهب ،

فى الصباح استيقظت قبيل الساعة السابعة وكان سعدباشالايزال نائماً فأيقظته وسألته ان كان يريد أن يقوم ؛ فقال انه يريد أن يبقى ليستريح وقتاً آخر . فتركته وبعد نحو ساعة جاءتها الخادم تبلغها ان ضابطين انجليزيين عند باب الحريم ، فأدركت في الحال الغرض من مجيئهما وذهبت الي سعد باشا فأيقظته وقالت له : هاان الذين تنتظرهم جاؤا يطلبونك

فنهض سعد باشا من فراشه وذهبت السيدة بسرعة الى غرفتها فارتدت ملابسها وتهيأت لمرافقته . ثم خرجت من الغرفة فوجدت جنديين انجليزيين وقفا عند أعلى السلم شاهرين السلاح وجنديين آخرين عند أسفل السلم شاهرين السلاح أيضاً ، فنزلت الى الحديقة تنتظر فيها نزول زوجها فوجدت فيها أكثر من خمسة عشر جندياً يحتلونها وكان المطر يهطل في تلك اللحظة . وفى الحال تقدم اليها رجل انجليزي يلبس الملابس الملكية وكلمها باللغة الفرنسية قائلا : نريد سعد باشا . فقالت : انه يتهيأ للنزول واني عازمة على مرافقته

فقال : ليس لدينا أوامر تسمح بذلك . فقالت : لابد أن ارافقه ، هاهو التليفون فأرجوك أن تخاطب به رؤساءك في ذلك

فسار ضابط كان يرافقه الى حيث التلفون فتكلم فيه ثم عاد وقال : لانستطيع أن نسمح لك بما تطلبين . ثم أظهر الضجر وقال بسرعة .لماذالم ينزل سعد باشاللآن ؟ فقالت: عجباً لكم لقد أخبرتكم انه يتهيأ النزول

فقال : اذن نصعد اليه بأنفسنا

ولم ينتظر أن تجيبه على ذلك بل اتجه الى باب الحريم وصعد هو وضابط معه الى حجرة النوم ففتحا بابها على سعد باشا وطلبا منه أن يعجل بالنزول . وفي أثناء ذلك كان الجنود المصطفون فى الحديقة يقطعون وقتهم بالمجون

ثم نزل سعد باشا فما كاد يظهر فى الحديقة حتى أحاط الجنود به وبالسيدة وقال أحد الضباط للسيدة أنهم لايمكنهم أن يسمحوا لها بمرافقة زوجها . ورأت هي ان الجنود يهمون فى الواقع بمنعها بالقوة فقالت لسعد باشا اني أكره أن تمتد أيدى هؤلاء الي فاستودعك الله

ومدت يدها اليه فصافحها وسار بين نطاق الجنود . وحينئذ التفتت فوجدت على مقربة منها واحداً من متطوعي جمعية الاسعاف يبكي بكاء عاليا فقالت له : ليس لنا ان نبكي وانما يجب ان نتحمل ما ينزل بنا بالصبر والشجاعة

فأجابها : ياسيدتي هـذا أبونا جميعاً فكيف لا نبكي ولا تذوب افئدتنا وهو يؤخذ من بيننا على هذه الصورة

ووجدت السيدة كل الخدم رجالا وسيدات فى الحديقة يبكون فعنفتهم على ذلك وجعلت توصيهم بالسكون والتجلد »

حمد باشا الباسل و سعد باشا

كان حمد باشا الباسل من الذي انفصلوا من الوفد المصرى ولكنه لم ينضم الى المنشقين الآخرين فلما علم أن السلطة العسكرية أرسلت الي سعد باشا تأمره بالسفر الى العزبة وان سعد باشا اجاب بالرفض ذهب اليه بعد ظهر الخميس ووضع يده فى يده فكان فى عمله هذا وطنيا نبيلا . ولقد رجوته فى ان يدون بنفسه هذه المقابلة فدونها كما يأتي :

« علمت يوم الخميس وانا في طريقي الى بيتى ان سعد باشا تلقى من السلطة أمراً بالامتناع عن الاعمال السياسية وبالسفر الى عزبته فلم اطق قراراً على هـذا الخبر وملكني الغيظ وبعد خمس دقائق كنت في بيتى افكر فى هذا الامر فاستعرضت في ذهني افكارا واعتبارات كثيرة ثم لم أجـد الا أن استسلم لعواطفي وللواجب الوطني وتذكرت ما كان بيني وبين سعد باشا من التضامن حينما صـدر لنا الامر الاول بنفينا الى مالطة فرأيت أني أكون قريباً من الجبن والنذالة اذا مكثت فى بيتى وتركته على تلك الحال . وحينئذ اندفعت بهذا الشعور الى بيت سعد باشا فوجدت فيه جمعاً كبيراً ثم دخلت قاعة الاستقبال فوجدت فيها بعض أصحابه . وكان سعد باشا فى داخل البيت فلما علم بوجودنا جاء فسلم وسلمنا وجلس على مكتبه وجلسنا امامه وبعد ذلك خاطبته قائلا :

لا أدرى كيف تقدر مجيئى اليك فى هـذه الساعة . ولكن مهما تكن كل التقديرات و الاعتبارات فلقد رأيت أن أجيء لاعبر لك عن شعوري نحوك

باعتبار انك زعيم الحركة الوطنية . لقد اختلفت معك فى الرأي فى أمر معين وقد انتهي هذا الامر ومضى وأصبحت أنت أمام الخصم الاصلى في قضيتنا المصرية التى تعاهدنا سوية على خدمتها الى النهاية . ولا بد انك تذكر عهدنا الخاص بيننا حينما كنا في المنفى ولهذا جئت اليوم وأنت امام الخطر لاضع يدى في يدك متضامناً معك ولأؤكد لك ان الامة المصرية بأسرها تغضب لهذا الحادث واخيراً ليعلم خصومنا ان ما بيننا من الخلاف في الرأي ليس من شأنه أن يمنع اتحادنا فى أشد الاوقات .

فأجاب سعد باشا قائلا : اني أشكرك على عواطفك هذه الوطنية وشعورك هذا العالى وما شككت يوما في عظم همتك وشديد غيرتك . وأؤكد لك أنى استقبل كل خطب بقلب مطمئن واتقبل وضع يدك في يدى في هذا الوقت بكل سرور » حمد الباسل

***

فى بيت الامة

بعد اعتقال سعد باشا

بعد أن غابت الاتومبيلات عن الانظار وقفت لحظة عند باب بيت الامة ثم بدأ أعضاء الوفد وأصدقاؤه يفدون فدخلنا وكان شغلنا الشاغل هو التساؤل عن المكان الذي أخذ اليه سعد باشا . فكان منا من يقول ثكنة قصر النيل ومن يقول ثكنات العباسية وأخيراً من يقول المحطة حيث قطار كان معداً للسفر . وبينما نحن فى هذا التخبط جاء سعد بك المصرى وأخبرنا انه كان قادماً الى بيت الامة فرأى الاتومبيلات العسكرية فادرك أنها تسير بسعد باشا فأمر سائق أتومبيله أن يتابعها عن بعد فسار خلفها حتى الشارع العباسى وهناك فطن الجنود الانجليز لمتابعته فصوبوا اليه البنادق وأمروه بالرجوع فاضطر أن يرجع . قال : وقد رأيت الاتومبيلات مرت بالمحطة فلم تعرج عليها فلم يبق عندى شك فى أنها سارت متجهة الى العباسية

هنا قد يتساءل كثيرون وقد تتساءل الاجيال المقبلة كيف كان بيت الامة

بعد اعتقال سعد باشا . فأقول كان الحزن فيه عظيما وشاملا بطبيعة الحال ، ولكن هل كان حزناً يفت فى العضد ويهد العزيمة ، كلا ثم كلا ، بل كان حزناً يورث الحنق ويزيد اشتعال النار في الصدور . وما رأيت في كل الجموع التي كانت تفد اذ ذاك كاعضاء الوفد عزما وشجاعة في ملاقاة الخطوب

كان هؤلاء الاعضاء يعرفون ان حظهم لا بد ان يكون كحظ سعد باشا وانهم من لحظة لاخرى مفارقون أهلهم وبلادهم ومع ذلك كنت تراهم مطمئنين ضاحكى السن . لا بل يمكننى ان أقول انهم كانوا فى هذا الصباح أشجع وأقوى مما رأيتهم أمس . وجاء فتح الله باشا وعاطف بك فسمعا خبر الاعتقال باسمين . وقال قائل ان أمراً صدر بالحجر على الاموال . فسألنا : أموال من . فجيء بجريدة وقرئت الاسماء فيها (١) . وكنت اذ ذاك بجانب فتح الله باشا فتقدمت اليه قائلا : هل أجبت ؟ فقال : وبماذا أجيب ؟ لقد أرسل سعد باشا جوابه فانا اكتفى به وليفعلوا ماشاؤا . فقلت ولكن قرار الامس هو أن يكون جواب الرئيس جوابا لاعضاء الوفد وحدهم وأن يجيب كل واحد من الآخرين بما يتفق مع حالته الشخصية . فقال وأنا وان لم أكن عضواً فى الوفد اعتبر جواب الرئيس جواباً لى وهذا ما أريد ان يفهموه من امتناعي عن الجواب .

وبينما نحن فى هذا الحديث مر بنا سينوت بك وفى يده ورق فقلت : ماذا ؟ فاخذنى الى قاعة السكرتيرية وهناك أطلعنى على ما فى يده فاذا هو احتجاج (٢)

---

(١) هذه هي الاسماء : الوفد . سعد زغلول باشا . سينوت حنا بك . مصطفى النحاس بك . وليم مكرم عبيد . فتح الله بركات باشا . عاطف بركات بك . واصف غالي بك . ويصا واصف بك . صادق حنين بك . امين عز العرب افندى . جعفر فخري بك . على ماهر بك . الدكتور حامد محمود . وبعد أيام ضم اليها اسما ابراهيم سعيد باشا . وميخائيل سلامه بك

(٢) هذا هو الاحتجاج :

نفذت القوة ماشاءت ، واعتدت على رئيسنا سعد باشا زغلول فاحاطت صباح اليوم بيت الامه بقوة من الجنود الانجليزية المسلحة ودخل ضباطها على الرئيس فى

من أعضاء الوفد على اعتقال سعد باشا ثم نداء (١) بوجه من واصف غالي؛
ودخل علينا حينذاك الاستاذ ويصا واصف وقرأ النداء فالتفت الي واص

غرفه نومه واخذوه في سيارة عسكرية الى مكان مجهول ولم يراعوا
الامة ولا لشيخوخته ولا مايحدثه عملهم من ازعاج حرمه التي أبوا أن
فباسم الامة يحتج الوفد أشد الاحتجاج على هـذه التصرفات ا
والاعمال القاسيه ،التي أهينت بها الامة في شخص وكيلها ، وعلي ماتق
من الاعتداء على المصريين وهم عزل من السلاح ، بسلب حريتهم ،
وازهاق أرواحهم ، وليس لهذه التصرفات نتيجة الا اذكاء البغض في
واشعال نار الغضب في صدورها ، واحتمالها الآلام بافئدة مطمئنة ، ونف
في سبيل تحقيق مطلبها الاسمي ، وهو التخلص من نير الاستبداد ، و
والفوز بالاستقلال التام . فلتحي مصر وليحي سعد
واصف بطرس غالي . سينوت حنا . م
مصر في يوم الجمعة ٢٣ر١٢ر٢١ ويصا واصف مكر

(١) هذا هو النداء

ننقل الى البلاد فكرة الرئيس نقلا صادقا فنطلب اليها ان توا
جهودها النبيلة التي ترمي الى تحقيق أمانينا المقدسة
ان ظلما كبيراً وقع ، فعلينا ان نقابله بالصبر وان ندفعه بالشمم .
لا تمكنوا الخصم من أسباب يبرر بها أعماله ومشروعاته الاثي
اعتقادكم في اعماق قلوبكم واقبلوا بأباء كل المظالم والآلام . اذ المظالم
نعيم والآلا شرف ليس فوقه شرف
لقد ضرب لنا سعد باشا مثلا فتابعوا امثله ولا تدعوا شيئاً يحيد بكم
نفوا سعداً ولكن مبادىء سعد باقية
نفوا سعداً ولكن روحه تلهمنا وتؤيدنا وتقودنا
نفوا سعداً ولكن مصر باقية
اننا مصممون على أن نواصل العمل وان نثابر فيه حتى نصل

قريبا منا وقال : أتمضي هذا وحدك ؟ كلا نحن هنا اثنان باقيان من الوفد فيدى في يدك واسمي بجانب اسمك واذا جري قضاء فليجر علينا معاً .

فقال واصف بك : لعمري ما كنت انتظر منك غير هذا ولكني تحاشيت في غيابك ان أدفع بك الى التضحية

وانما أراد واصف بك بكلمة « التضحية » هنا أن تبادر السلطة العسكرية بعد اطلاعها علي النداء فتجعل نصيبه من الاعتقال كنصيب زملائه ، وفي الواقع انه كان يتألم لنسيانها اياه وكثيراً ما كاشفني بهذا الألم

واستمرت الحال على ذلك الى ان جاء وقت الظهر وأردت الخروج فرآني سينوت بك خارجا فطلب ان نتقابل. فقلت : متى وأين. فقال : في مكتبك في منتصف الساعة الرابعة . فقلت : نعم . فقال وهو يضحك : ولكن علي شرط أن ابقى حراً الى تلك الساعة بحيث اذا لم ترني جئتك في الميعاد فاعتقد أني اعتقلت

وتلك كانت بيننا كلمة الوداع الاخير

* * *

اعتقال المبعدين الآخرين

لم أحضر اعتقال المبعدين الآخرين ولكن كان من الذين حضروه طاهر بك اللوزي وقد طلبت اليه أن يصف بنفسه ما شاهده فكتب لي ما يأتي :

« دعاني فتح الله بركات باشا لتناول طعام الغداء في بيته وكان معنا عاطف بك وسينوت بك وعطا عفيفي بك ونجيب حتاته بك .

. ففي أثناء تناول الطعام جاء ضابط انجليزي من البوليس المصري ومعه انجليزي آخر بالملابس الملكية وطلبا ان يخاطبا فتح الله باشا . فخرج اليهما وتبعناه . فقال له الضابط : أتحب أن تبقى في مصر على شرط ان لا تشتغل بالسياسة

لله . ولئن ضربنا الخصم نحن أيضاً فليقومن غيرنا وغيرنا لاننا لاندع علم مطالبنا الوطنية يسقط من أيدينا

أيها المصريون : ان في ميدان الضحايا والمجد متسعاً للجميع .

القاهرة في ٢٣ دسمبر سنة ١٩٢١ واصف بطرس غالى . ويصا واصف

فقال فتح الله باشا : أرجو أن توضح لى ماذا تريد بالسياسة ؟

فقال الضابط : أريد السياسة العملية ، وأنت تفهم مرادى تماما

فاشار فتح الله باشا اشارة الأباء وقال : انى لا أسلم في ان تقيد حريتي في أعمالى وليس لدي كلمة أقولها غير ذلك

ووجه الضابط السؤال نفسه الي عاطف بك فأجاب بمثل ما أجاب به فتح الله باشا

وبان على الضابط انه اكتفى بسؤال هذين الاثنين فاندهش أعضاء الوفد وسألوه ان كانت لديه أوامر فى شأنهم . فقال انه لم يتلق أوامر الا فى شأن فتح الله باشا وعاطف بك . فقالوا : سنبقى هنا نحو ساعة ثم ننتقل الي بيت سعد باشا فاذا جاءتك أوامر خاصة بنا فأنت تعرف أين تجدنا . فطلب منهم أن يعطوه أسماءهم ومحلات اقامتهم بعد تركهم بيت سعد باشا . فاعطوه كل البيانات التى طلبها . ثم خرج وخرج معه الانجليزي الذي كان يرافقه وتبعناهما الى الباب فرأينا شرذمة من الجنود الانجليز شاكى السلاح وازاء الباب اتومبيلا مدرعة وعليها مدفع كبير مصوب الي البيت . ثم ركب الجنود اتومبيلا أخرى وذهبوا

وبقينا بعد ذلك ساعة ثم عاد الضابط ومعه الجنود ولكن لم تكن معه في هذه المرة الاتومبيل التي تحمل المدفع . وجاء أيضاً وكيل حكمدار العاصمة فوقف أمامنا وجعل ينادي كل واحد باسمه فوجدهم حاضرين جميعاً . ثم قال لهم بالانجليزية : أرجو أن ترافقونى الي ثكنة قصر النيل

فتبعوه ضاحكين وهم يمزحون معه . وخرجنا معهم بين الجنود التي أحاطت بهم فصافحناهم وهتفنا معهم للاستقلال . وذهبوا ملحوظين بعناية الله

طاهر اللوزى

***

في ثكنة قصر النيل

زار بهي الدين بركات بك، نجل فتح الله بركات باشا والقاضى فى محكمة أسيوط الاهلية، ثكنة قصر النيل وقابل المعتقلين فيها قبل أن يبارحوها الى السويس ثم دون هذه الزيارة فقال :

« كنت فى أسيوط يوم الخميس ٢٣ دسمبر سنة ٩٢١ فجاءنى فى المساء تلغراف من والدى يخبرنى فيه بإلحاح من صدر اليهم الامر بمغادرة القاهرة الى عزبهم والامتناع عن الاعمال السياسية وختم تلغرافه بقوله « . . . فتقبلنا الخبر بنفوس مطمئنة فلا تحضروا » . وبعد ذلك بنحو ساعة تلقي أحد أصدقائي فى أسيوط تلغرافا يتضمن صورة الرد الذي بعث به الرئيس وزملاؤه ، فتوقعنا على أثر تلاوته ان يعتقلوا ولكننا ظننا أن ذلك يقتضي بضعة أيام وقد ينفذ الامر عند التسفير الى العزب أو بعبارة أخرى تنفيذ القرار بالقوة . ولذلك صممت على السفر الى العاصمة يوم الجمعة فلما وصلت اليها وجدت ان قد انتهي كل شيء وتم الاعتقال . فتوجهت فى صباح يوم السبت لمقابلة مستشار الداخلية فلما لم أجده طلبت مقابلة مستر (مونتيت سمث) القائم مقامه في هذه الشئون . ولما دخلت عليه أخبرته انى أريد ان أقابل والدى وعمى . فتكلم أمامى فى ذلك في التليفون مع دار الحماية . ثم طلب مني ان أنتظر جوابه . وبعد نحو ربع ساعة أرسل يطلبنى ثم كتب خطابا دفعه الى وقال خذ هذا واعطه للجنرال م ... فى قصر النيل ولكن يحسن أن تنتظر ربع ساعة حتى تكون الاوامر قد أعطيت بالتليفون . فانتظرت تلك المدة وأخذت أتومبيلا . وذهبت الي ثكنة قصر النيل فأرشدني العسكرى الواقف فى الباب الي الفناء الداخلي وهنالك أخذ مني الخطاب جندى آخر وذهب به الى باب غرفة الجنرال فخرج ضابط يسألني عن مصدر الكتاب فأجبته المستر مونتيث سميث. فدخل بالكتاب ثم عاد الى يقول انتظر ولا تذهب بعيداً . فانتظرت نحو الساعة واقفاً بجانب الاتومبيل ولما سألته بعد ذلك ما ذا تم كان الجواب انتظر . وبعد مضى ساعة ونصف أشار لي ضابط بأن أتقدم اليه فتقدمت. فقال لي لاحظ لك فى رؤية والدك. فقلت له أتحجزوننى هنا كل هذه المدة لتقولوا لي ذلك!! هل يسافر والدي اليوم أو لا. فقال نعم. ثم عاد وطلب منى أن أنتظر مرة أخري فانتظرت بجانب الاتومبيل وكانت ترد اذ ذاك أتومبيلات مغطاة بالقماش الاسود من كل ناحية وتقف أمام أحد الابواب الموصلة لذلك الفناء

وبعد نحو ربع ساعة أشار لي الضابط الذى تلقى الخطاب أولا فاقتربت منه ثم جاءني ومعه رجل طويل القامة بلباس (ملكي). وأشار الاثنان الي بالصعود معهما

وسمعت الضابط يقول لزميله كلمات لم أسمعها كلها ولكنى فهمت منها انه مسموح لى ان أمكث مع والدى دقيقتين

ولما صعدنا الى الدور العلوي وجدت والدي وزملاءه المعتقلين خارجين من باب الجناح الذي على اليسار فسلمت عليهم جميعاً ثم أشار لنا الشخص الطويل كى انفرد بوالدى . وكان هو معنا ولكننا لم نكد نتكلم حتى قال لنا « لا كلام في السياسة » فسألنى والدى هل من شيء ؟ فأجبته لا ، مع السلامه

وبعد ذلك حضر الضابط وأشار الى الاتومبيلات كى تنتظر وقال لا ننزل من هنا حتى تسير هذه العربات . فانتظرت أرقب ركوبهم فيها وكانت كلها محاطة بالقماش الاسود وفى كل واحدة منها جندى انجليزى ومعه بندقيته . ولم أتمكن من رؤية أحد من الراكبين غير مصطفى بك النحاس وعاطف بك وكانا فى اتومبيل واحدة

وعند ما تحركت الاتوموبيلات نزلت فاذا بعجلة احداها تعطلت فاخذوا يصلحونها فانتظرت وبعد قليل هم السائق بالمسير واذا بجندى يشير اليه بالانتظار وعند ذلك حضر ضابط برتبة لواء يحمل طربوشا وقال لى انا واطمن وانى آسف جداً لهذه الاعمال وأؤكد لك أن آلافا من الانجليز غاضبون منها وهذه تصرفات السياسيين وانى أرجو أن نكون اصدقاء قبل مضى زمان طويل وعسى أن لا يحدث شغب . فأجبته بان شكرت له احساساته هذه . ثم قال لى انهم يخشون ان تتبع باتوموبيلك الاتوموبيلات الاخرى فهل تعطيني وعداً بعدم اتباعها . فقلت نعم . ولم يكد يتم كلامه حتى حضر ضابط آخر وقال لى انتظر هنا حتى تعطى لك اشارة بالانصراف . وبعد أن تحركت الاتومبيلات بنحو عشر دقائق استأذنت فى الانصراف وانصرفت

ولقد بلغني بعد ذلك ان الاتوموبيلات عادت للثكنة ثانية . وأكد لى جماعة أنهم رأوها بأنفسهم . ويؤيد ذلك ماروته الجرائد من ان المعتقلين كانوا فى عربة سكة حديدية أخذتهم من ثكنة قصر النيل بعد الظهر وألحقت بقطار السويس .

ولا بد أن اقول هنا ان المخابرات بيني وبين والدي توشك ان تكون مقطوعة وأن والدى كان قد حصل في معسكر السويس على تصريح بارسال خادم يخدمه فلما عرضنا ذلك على دار الحماية اجابت بالرفض   بهي الدين بركات

فى السويس

بقي الناس أياما لا يعرفون أين مكان المعتقلين ثم جاءت الاخبار بأنهم شوهدوا في معسكر الهنود فى السويس وعرف بعد ذلك أن الرئيس أخذ من بيته الي السويس رأساً فى الاتومبيل التي حملته . وقد تعب فى هذه السفرة تعبا عظيما لأن الطريق بين القاهرة والسويس أهملت بعد انتهاء الحرب فصارت كثيرة الحفر ثم لأن البرد كان في ذلك الصباح قارصا ولم يكن الرئيس يتوقع أن يسافر هذه السفرة فخرج بثياب خفيفة

ولقد عجلوا فى ترحيله حتى أنهم لم يفطنوا الي أنه من الضروري له أن يأكل وقت الظهر، ثم فطنوا لذلك بعد سفره فارسلوا له طعام الغداء فى أتومبيل أخري تدركه فى الطريق . وحدث أن الاتومبيل الاولى تعطلت وانكسر محركها لشدة ما عانته من الحفر فبقيت واقفة حتى ادركتها الاخري ثم نقل الرئيس اليها

ولما وصل الرئيس الى السويس كان تعبا وقد أثر البرد في صحته فلازم الفراش وتولي طبيب هندي معالجته

أما المعتقلون الآخرون فانهم نقلوا الي السويس في عربة فى السكة الحديدية مقفلة الابواب والنوافذ والجنود حولها يحرسونها بالسلاح

وأقام المعتقلون كلهم فى معسكر السويس خمسة أيام ثم نقلوا يوم ٢٨ ديسمبر على باخرة الى عدن وهم فيها الي ساعة كتابة هذه السطور . ولكن دار الحماية أعلنت في بلاغ بانهم سينقلون يوم ٧ مارس المقبل أو حوالى ذلك الى حزر سيشيل

***

حرم الرئيس

تواصل عمل زوجها

بعد أن نقل سعد باشا الي السويس كتب المارشال اللنبي الى السيدة الجليلة حرم الرئيس كتابا قال فيه ان سعد باشا يسافر بحرا فى وقت قريب فان كانت تود مرافقته في سفره فانه ينتظر جوابها بذلك ليتخذ الوسائل اللازمة لسفرها قبل يوم ٢٨ ديسمبر فأجابت بانها استودعت الله زوجها وصممت على ان تبقى في مصر لتواصل عمله

وبالوصل خبر جوابها هذا الى الصحف لانجليزية اهتمت به اهتماما عظيما وشبهت حرم الرئيس بجان دارك

***

خطبة لسعد باشا

لسعد باشا خطبة لا يعرفها الا الذين سمعوها وهم قلال من الناس . تلك هي التى ألقاها في بيت اخي مصطفى بك النحاس فى حلوان يوم استقالة الوزارة العدلية أى قبل اعتقاله بأيام . وأنا أستعرض الآن فى ذهني هذه الخطبة فأشهد للرئيس بما فيها من بعد النظر وصدق الفراسة

أشار في خطبته هذه الي الذين كانوا اذ ذاك يدعون دعوة الاتحاد أي رجوع « المنشقين » الى الوفد فقال ان ذلك مستحيل لان الاشتراك فى العمل لا يمكن أن يقوم الا على أساس واحد هو تبادل الثقة وقد حدثت بين الفريقين أمور تمنع أن تعود الى واحد منهما ثقته بالآخر ، ثم أبان ان الخلاف بينهما لم يكن لاشياء شخصية بل لفهم يفهمه كل واحد منهما في القضية المصرية وعلى هذا يكون اتحادهما ، اذا تم ، معطلا للعمل لانه يجمع بين نقيضين أحدهما ماش الى الامام والثانى ماش الى الوراء ، ولا يمكن أن ينتج من اتحاد كهذا غير نتيجة واحدة هي الرجوع الى الشقاق فى أقرب وقت . واستطرد من هذا الى الوزارة التي كانت اذ ذاك تقدم استقالتها فتنبأ بكثير مما رأيناه من رجالها الى اليوم

ويعرف كل انسان أن المنشقين عادوا الي الوفد بعد نفى سعد باشا وعالجوا ان يتحدوا مع اخوانهم الآخرين فاستحال ذلك بعد أيام تعد على الاصابع

***

المعتقلون فى مصر

المعتقلون فى مصر ثلاثة هم صادق حنين بك و الاستاذان أمين عز العرب وجعفر فخرى بك

فأما صادق حنين بك فانه عملا بما أجمع الرأى عليه من أن يجيب الذين ليسوا أعضاء في الوفد تبعاً لاحوالهم الشخصية كتب في اليوم نفسه ، أى يوم الخميس، الى

السلطة العسكرية يخبرها بانه ليس له عزبة يسافر اليها . واتفق فى صباح اليوم الثاني ان كان ولده قادماً من الاسكندرية مريضاً ومعه والدته التى كانت قد سافرت اليه حين جاءها الخبر بمرضه فلم يتمكن صادق بك طول النهار من أن يجيء الي بيت الامة ولا أن يكون مع أعضاء الوفد حين اعتقالهم . وهذا هو السبب فى انه لم يعتقل معهم كما اعتقل فتح الله باشا وعاطف بك . ولم تفكر السلطة العسكرية فى ان ترد على الخطاب الذى أرسله اليها الا بعد ثلاثة أيام ، وحينئذ حددت له فى ردها منطقة في الزيتون ليس له ان يتجاوزها . ثم نزعت التلفون من بيته

أما الاستاذ امين عز العرب فسافر صباح يوم الجمعة الى عزبة والده وهو يعتقد كل الاعتقاد ان السلطة العسكرية لا تفعل غير أن تسوق كل واحد من أعضاء الوفد الى عزبته فلما علم بعد ذلك انهم نفوا الى السويس ثم الى عدن تألم وكتب في ذلك كتبا لبعض اصحابه وقد اطلعت على واحد منها فرأيته يقول فيه: « اقسم بالله وبالوطن وبسعد انى مافارقت القاهرة الا بعد أخذ رأي حضرتى فتح الله باشا وعاطف بك وموافقتهما وفي وقت كنا فيه على يقين من ان التخلف لانتيجة له الا سوقنا الى بلادنا فحسب . ولو كنت أظن أو أتوهم ان الامور ستجري على غير ماقدرنا ما تركت زملائى الذين تشرفت بان كنت في عدادهم »

واما جعفر فخرى بك فقد حددت له السلطة منطقة حلوان يقيم فيها

***

للتاريخ الخالد

وقعت فى يدي كتب لسعد باشا تستحق أن يسجلها التاريخ مع ما يسجله للابطال الخالدين ، منها ما كتبه وهو فى منفاه الاول في مالطة ومنها ما كتبه وهو على رآسة الوفد فى لندن وباريس ومنها أخيرا ما كتبه وهو فى منفاه الثانى في السويس وعدن . وها أنا أسردها واحدا بعد الآخر :

— ١ —

١٣ ابريل سنة١٩١٩ بولفاريستا مالطة

عزيزى سعيد (يريد سعيد بك زغلول)

الحمد لله ، ذلك ما كنا نبغي ، أذن للمصريين بالسفر ونحن معهم ، وستصل السفينة التى تحمل بقية حضرات أعضاء الوفد الى هنا غداً لنركب فيها معهم الى لوندرة . وأكبر سرورى بهذا الفرج الشامل انه حصل اجابة لنداء الوطن العزيز أعلى الله كلمته وردنا اليه سالمين رافعين لواء استقلاله لنراكم فى أحسن الحالات . وعند وصولى الى لوندرة أخبركم تلغرافياً .وسلم على الناس جميعاً سعد زغلول

— ٢ —

سافواى أوتيل . لندن — ٧ نوفمبر سنة ١٩٢٠

عزيزى طاهر بك : (يريد طاهر بك اللوزي)

أخذت بالامس خطابكم المؤرخ ٢٣ اكتوبر بعد ان طال له انتظارى ، وهو يشف عن دقة فى النظر وتعمق فى البحث وتحر شديد للحقيقة . وكثير مما ورد فيه يؤيد كل التأييد ما عندى من المعلومات فاشكركم عليه جزيل الشكر

وانا نعانى اليوم صعوبات كثيرة في عرض أماني الامة التي اعتبرناها تحفظات رغم ما وصفت به عندكم ، ويراد عدم فتح باب المناقشة فيها واحالتها على المفاوضات الرسمية توهماً بأن الامة تقبل المشروع بدونها وان الحكومة التى ستتولى أمر هذه المفاوضات تتمكن من اقناعها بوسائل التأثير المعروفة بقبول المشروع ، ولكنى مصمم كل التصميم على عدم النزول عن التحفظات المهمة لان المشروع بدونها لا يكون الا حماية فى ثوب استقلال أو استقلالا فى معنى الحماية ، وما لهذه الغاية سعيت ولا عرضت للشقاء نفسى وقومي ، فان نجحت في سعي فذلك ما أريد وتريد الامة واذا كانت الاخرى فلا أكون أيدت اليوم ما نقضته بالامس وكل الناس تعذرنا

من المنظور ان لا تطول اقامتنا هنا وان نبارح لوندرة يوم الخميس القادم على الأكثر ان لم يحدث ما يبعث الامل على المناقشة فى تلك التحفظات ، وأرجو ان

تستمروا على مكاتبتى بذلك الاسلوب اللطيف الذي كتبتم به ذلك الخطاب الجميل.

سعد زغلول

— ٣ —

آفنودي كاموان — ٤

باريز فى ١٨ يناير سنة ١٩٢١

عزيزي طاهر بك :

أهديك سلامى وقد وصل خطابك الاخير ، واستفدت منه الشيء الكثير ويسوءنى أن اخبرك بأن الخلاف اشتد في الوفد اشتدادا تعذر تلافيه مع مابذلت من جهد وما وسعت من صدر وما ضيعت من حق وضحيت من شعور .ونقطة الخلاف الاخيرة تنحصر فى أن المخالفين يريدون تأييد عدلى فى خطته وأريدالقضاء عليها لانها مضرة كل الضرر بالبلاد ولا يترتب على اتباعها الا تأييد الحماية وضياع الاستقلال . وقد عزم المخالفون على العودة بعد أن اعياهم الجهد في حملي على اعلان الثقة بعدلى وذلك لكي يقوموا هم بهذا التأييد علنا ان مكنتهم أحوال الامة منه أو سرا اذا لم تساعد هذه الاحوال . أما أنا فثابت فى موقفى مصر على البقاء فيه ولو تخلى عنى جميع قومي لانه خير لي أن يتخلوا عني من أن أخونهم بالجرى على خطة أراها مضرة كل الضرر بهم وعلى الله اتكالي ومنه استمدمعونتي والسلام

سعد زغلول

— ٤ —

أفنودى كاموان — ٤

باريس في ٣١ يناير سنة ١٩٢١

عزيزى طاهر بك

اعتز المخالفون بعددهم . وأعجبتهم كثرتهم . فشمخت انوفهم .واستطالوا على وحدتنا فقسموها . وعلى حقنا فهضموه . فنقضوا في اجتماع خاص بهم ما كان قرره الوفد فى اجتماع عام باشتراكهم . رفضوا مبلغا اذنا بصرفه.وصرفوا مبالغ لم نأذن بها . وأبوا ان يسلموا أمانة الصندوق لمن عيناه من غيرهم . وقدروا للصرف مدة غيابهم مبلغا لم يأخذوا في تقديره رأينا . مكتفين بتقديرهم . كأنهم من امرائنا وكأننا من

اتباعهم . قرروا عودتهم بدون علمنا . وأخبروا اللجنة المركزية من عندهم . واعلنوا بذلك للملأ انقسامنا وخلافهم . ظنوا الامة هوى الضعف بروحها . ولوى اليأس بعزمها . واستعدت للاستسلام . فسارعوا اليها لا لكي يقوموا ضعفها بل ليستميلوها الي الثقة بمن شكت في اخلاصه ليحسن تسليمها . والي الشك في من وثقت بهم ليمتنعوا عن عونها . متوهمين انها ستحشد الحشود للقائهم . وترفع البنود للاحتفاء بهم . فلم يكن من الكثير الا أن أمسكوا عن مقابلتهم . ومن غيرهم الا ان واجهوهم بما يكرهون وطالبوهم ان يعلنوا في الخلاف رأيهم فلم يسعهم الا أن نشروه . معترفين بما أنكروه ومنكرين ما أعلنوه . ولا أدرى ان كانت نفوس القوم طابت بما أعلنوا ورضيت بما نشروا مع سكوتي عن موافقتهم . ولكن يظهر انها لم ترض به تمام الرضاء لأن بعضهم طلب مني أن أنشر بلاغا أنفي فيه ذلك الخلاف وأؤكد تمام الاتفاق وعدم انقطاعه فلم استحسن طلبهم لأن فيه تغريرا بالامة ومناقضة للحقيقة التي عمل المخالفون أنفسهم على اعلانها وأيدوها بقولهم وفعلهم حتى تغنت بهما الجرائد الانجليزية وتغنت بهم وباعتدالهم . ولأن هذا الخلاف لا يرجع لأسباب شخصية حتى يهون احتماله ويرجي زواله ولا يضر اخفاؤه . ولكنه يرجع الي الاختلاف في الغاية والشعور . فهم ملوا العمل وقطعوا الامل . وقليل ما أعطينا كثير في نظرهم . وقريب مانرجو بعيد في اعتبارهم . والمشروع عندهم يهدى مصر استقلالها ويبوئها أشرف مركز بين الامم . ونرى فيه حماية ولا يبوىء من المراكز الا أتعسها . ولا يفيد الا ضياع الاستقلال فكيف يمكن التوفيق بين هذين الرأيين وهاتين الغايتين ؟ ولو كان أمره منحصرا بيننا ولم يشعر به خصمنا لتسامحنا ما امكننا . لكنه علم به على وجه يرفع كل طمأنينة ويضعف كل ثقة ومتي انعدمت الثقة بين جماعة تعذر انتظام العمل بين العاملين فقد كتب اللورد ملنر خطابا لبعض أصدقائه (١) وبيدنا نسخة منه جاء فيه مانصه : « ان أصحاب زغلول باشا ممن يطلبون نفس مطالبه قد بذلوا آخر مافي وسعهم لاقناعه بالقبول فلم يقتنع » فمن أين علم لورد ملنر هذا المسعى ؟ انه لم يكن مني بالطبيعة . ولا شك عندى في ان علم اللورد ملنر بهذا الخلاف على هذا الوجه كان له تأثير كبير جدا

---

(١) نظن انه يعني مستر بلنت

فيما ابداه من التشدد معنا خصوصاً فيما يتعلق بقبول التحفظات

تعلمون ان عدلى باشا قبل المشروع وسعي بواسطة أصدقائه في الوفد وخارجه في ترويجه وحمل الامة على قبوله . ومع ذلك أراد أصحابه في الوفد أخيراً ان اعلن للامة ثقتى به . واعتمادى عليه فى المفاوضات الرسمية ليتحصل على قبول التحفظات فرفضت ذلك بتاتاً . اذ كيف يمكن لى أن أثق هـذه الثقة بعد كل ما عندي من المعلومات . وان أعول على رجل فى تعديل مشروع هو يراه مقبولا بدون هـذه التحفظات مهما كان عنده من سلامة النية وحسن القصد .

ومن عجب ان هؤلاء الذين يريدون ان يسلموا لمثل هذا الرجل أمور البلاد يديرها برأيه وبمساعدة من تعرفون لا يسمحون لى أن أرسل تلغرافاً أو كتاباً يحمل شكراً على عمل من الاعمال بدون اطلاعهم ويعدون انفرادي بمثل هذا العمل جارحا لهم وماساً بكرامتهم . حتي كان منهم ان أرسلوا لي خطابا يحتجون به على هذا الانفراد في عبارات جافية لا يوجهها متبوع لتابع . اتظن ان جماعة ضعفت الثقة بينهم الي هذا الحد يمكنهم ان يشتركوا فى عمل ويمكن ان يقدر لهذا العمل نجاح ؟ كلا ! انهم لم يتظاهروا بموافقتنا الا اتقاءاً لسخط الامة وتلطيفاً لغضبها والا فانهم سيعملون فى السر على بث أفكارهم وترويج مقاصدهم والدعوة الى تأييد سيدهم الذى رأوا فيه المعين على الوصول الى غاياتهم التي ينشدونها كما تعلمون . ولقد رأيناهم يقابلون بوجوه هشة بسامة كل خبر يدل على ضعف النهضة الوطنية وفتور الهمم وانحلال القوى . ويعبسون للأخبار التي تدل على قوة روحها وكمال يقينها في حسن الاستقبال . ان نفوسا هذه حالها يضر وجودها في الافراد فما بالك في القواد

اني كثيرا ما ضغطت شعورى الشخصى . وتسامحت في حقوق الذاتية . بل لم أحسب حسابا لهذه الحقوق ه ولكنى لا أملك أن أتساهل في حق عام عاهدت الامة على الاحتفاظ به فلا أستطيع ان افرط فيه لعدو ولا لولى . ولكني أسكت اذا لم يضر السكوت به . أما اذا رأيت منه خطراً فواجبي يدفعنى الى الجهر بالحق . والله ولي العاقبة .

لا بد ان تكونوا علمتم بان اسم مكباثى بك كان من بين العائدين ولكنه لم يعد .

انه من صفهم . وعلي رأيهم . ولم يكن مسافراً معهم . بل في عزمه اللحاق بهم . وانما كتبوا اسمه مع اسمائهم تفخيما لشأنهم ولكي يعتزوا باضافة لون آخر الي لونهم . حتى لا يقال ان حزب الامة عاد الي بدايته وانتهى الي غايته . ان الله لا يصلح عمل المفسدين

« سعد زغلول »

— ٥ —

افنودي كاموان — ٤

باريس فى ١٨ فبراير سنة ١٩٢١

عزيزى طاهر بك

لقد وقعت عبارة كتابك الاخير من نفسي أحسن وقع . واثرت لدى أجمل تاثير . فاشكرك عظيم الشكر عليها . وانتظر منك تفصيل ماأجملت فيها . علمتم بالطبع ماقاله مستر لويد جورج في مجلس العموم من لزوم استشارة وزراء مصر في تقرير ملنر وهذا هو ماكانوا يعبرون عنه بالمفاوضات الرسمية . ولابد ان يكون العدليون صعقوا لهذا الخبر لانه قطع عليه طريق الامل . وأصبحوا به يفكرون في سوء عملهم ويندمون على ما ارادوا ان يخدعوا به امتهم . اما غيرهم من نبهاء الوطنيين فلا اظن ان يكونوا اهتموا له بعد ماعلموه من اصرار الحكومة الانجليزية على اعتبار مصر جزءاً من الامبراطورية البريطانية . اذ مادامت الحماية باقيه والمفاوضة انما هى فيما ينبغي ان يكون عليه نظامها فلا يهم عند طلاب الاستقلال هذا النظام

ترد على تلغرافات كثيرة من الهيئات المختلفة بالاحتجاج علي المعني السالف ذكره . وهي يقظة عظيمة من الامة افتخر كل الافتخار بها وتقوى عندى الرجاء في بلوغ الامل مهما كان الزمان . لان أمة فيها هذه الروح لايمكن ان تغلب علي أمرها ولا ان يضيع حقها ان شاء الله

— ٦ —

آفنودي كاموان — ٤

عزيزى طاهر بك

كلما قرأت خطابك ازددت أعجابا بحسن سردك للحوادث وتصوير الحقائق

وشكرا لك . ولقد اكتفيت عن الكتابة اليك الاسبوع الماضي بما كتبته لسعيد (١) اذ طلبت منه فيه ان يطلعك عليه

لا بد أن تكون الافكار عندكم مشغولة بتقرير ملنر وتفهم معانيه ومراميه ثم بقرار الحكومة الانجليزية ، وبما ورد فى خطاب اللورد اللنبي الذي بلغ به للسلطان ذلك التصريح ، فاما التقرير فلابد أن تكون علمت برأيي فيه وهو انه كشف الستار عن مشروع ملنر ولم يجعل للشك مجالا فى انه يرمي الى وضع مصر تحت مراقبة انجليزية فعالة في الداخل والخارج يديرها معتمد انجليزي ذو مركز ممتاز بالاستناد الي قوة حربية تعسكر في البلاد ، أما التصريح فظاهره غرار يخلب البسطاء ويتخذه مرضى القلوب وذوو المطامع وسيلة للتمويه على الناس حيث جاء فيه ان نظام الحماية علاقة غير مرضى عنها ولا ينبغي استمرارها ، وهذه العبارة توهم انه مقضى عليها بالالغاء ولكن الحقيقة ليست كذلك بل بالاستبدال ، وفرق بين الغاء الشئ واستبداله بآخر اذ الالغاء يستوجب ابطاله ومحو نتائجه ، أما الاستبدال فيستلزم الاحتفاظ بهذه النتائج مع تغيير هيئته ، وما ضرر الحماية علينا الا في النتائج فاستبقاؤها استبقاء لهذا الضرر الذي نشكو منه ، وهذا الاستبدال ليس بجديد فقد عرض على الوفد فى صيغ مختلفة في مراتب الوضوح ومنها الصيغة التي تصدر بها أول مشروع قدمته لجنة ملنر للوفد ومع ذلك قد رفضه في جميع صيغه للعلة السالف ذكرها ، ولقد جعل التصريح الاستبدال المذكور غاية ما تنتهي اليه المفاوضات ان أمكن ثم اشترط ان يكون بعلاقة تضمن ضمان مصالح انجلترا وتمكينها من تقديم الضمانات اللازمة للدول الاجنبية ، واذا شئت ان تعرف مرمى هذا الاشتراط تماماً ومقدار ضرره بمصر واستقلالها فما عليك الا ان تراجع تقرير ملنر خصوصاً فى آخر فصل منه فانك تري فيه معني الحماية مجسما بلا اسمها ، ولهذا لا يمكن ان توصل المفاوضات الرسمية الى مايحقق أمل الامة في استقلالها الحقيقي

اما ما تضمنه خطاب اللنبي من ان الحكومة الانجليزية سمحت بتنازل فيما يختص بالغاء الحماية قبل المفاوضات فلا يصح ان يخدع أحدا لان هذا التنازل ليس

---

(١) يريد سعيد بك زغلول

الا عبارة عن ذلك الاستبدال بتلك العلاقة . ولقد بلغنا ان الذين سيمينون المفاوضة أغلبهم ممن خدموا تحت الحماية وأيدوها بأعمالهم وأقوالهم فلم نستغرب هذا الاختيار لانه لا يليق لمثل هذا الغرض الا امثال هؤلاء الرجال . والسلام .

سعد زغلول

— ٧ —

معسكر الهنود بالسويس .

فى ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٢١

عزيزتى (يريد السيدة الجليلة حرمه)

أخذت خطابك المؤرخ ٢٧ ديسمبر ورغم صعوبة فراقنا وشدة رغبتى في وجودنا معا فانى استحسنت فكرة تأجيل سفرك الآن وافتخر بالشعور الوطني الذى سهل عليك ما اعرف أنه كان صعبا جداً عليك . وان بنى وطنى يستحقون منك مثل هذه التضحية . ومهما كان فى فراقنا من ألم فواجبنا أن نتحمل هذا الألم بكل ثبات وصبر ولله عاقبة الامور .

حضر عبدالله الخادم ووجدته شاباً مؤدباً مخلصاً يعرف الانجليزية ويبذل جهده فى ارضائي فأرجو ان تشملى أهله بحسن الرعاية

صحتى جيدة وقد كتبت اليك غير هذا ولكن يظهر أنهم لم يسلموه لك الي الآن فان كان هذا مقصودا فلا معني له الا المبالغة في الارهاق بلا فائدة عامة أو خاصة وعلي كل حال فاني أرجو لكم الصحة والهناء .

سعد زغلول

— ٨ —

١٨ يناير سنة ١٩٢٢

عدن

عزيزتى :

استلمت تلغرافك وأرجو أن تكونى متمتعة مع جميع العائلة بالصحة . أما أنا فانى أحمد الله على اعتدالها . لا يقلق بالنا الا انقطاع خطاباتكم لانى من يوم سفري لم استلم الا خطابا واحداً على يد السلطة العسكرية . . . . . .

سعد زغلول

(حاشية) لعل الخطاب السابق الذى ارسلته من هنا وصلك وأرسلت الصندوق الكبير وفيه أخف ملابس الصيف و كتب التعليم الالمانية والكتب العربية الادبية التي طلبتها .

— ٨ —

عدن في ٢٥ يناير سنة ١٩٢٢

عزيزتي :

أرجو أن تكوني انت وجميع عائلاتنا في صحة وراحة . أما نحن فنحمد الله على ذلك ولا يشغلنا الا عدم وصول مكاتبات من جهتكم . واني لا أظن انك لا تكتبين لى لاني أعلم شدة اهتمامك بمكاتبتى في غيبتي ولكن يظهر ان السلطة تحول بيننا وبين وصول مكاتباتنا بعضنا لبعض وهو عمل يضايقنا ولا يفيدها شيئا. وارجو أن تتأكدى اني اكتب لك في كل أسبوع مرتين فان لم يكن وصلك شيء من كتاباتي فما ذلك بسبب تقصيرى ولكن بفعل السلطة

لا تصلنا الجرائد العربية ، ولكن يأتون لنا أحياناً ببعض الجرائد الفرنسوية والانجليزية بعد مرور زمن طويل على صدورها ، وقد قرأت فى بعضها نداءك للامة بالدعاء لنا فسررت من هذا النداء وهنأت نفسى على ان لى بمصر نفساً عالية مثل نفسك تصدر منها الافكار النيرة والآراء السديدة ، والله أسأل أن يحقق آمالنا ويحسن أحوالنا والسلام .

سعد زغلول

— ٩ —

وتلقت السيدة الجليلة حرمه أربعة تلغرافات منه في عدن كلها بالسؤال عن صحتها ولكن فيها واحد لا بد ان يفهم اللبيب مغزاه وهذا نصه :

عدن فى ٩ فبراير الساعه ١٠ والدقيقه ١٥ صباحا

وصل فى ٩ فبراير الساعه ١٠ والدقيقه ٣٠ صباحا

أخذت تلغرافك وأشكرك كثيراً . وأقدم لك احترام الاصدقاء كلهم وأتقبل أمانيهم وأرجوك أن تذكريني لدى أسرهم

سعد زغلول

***

وفيما عدا ذلك فقد خاطبت دار الحماية بيت الامة منذ أسبوع فطلبت ارسال مائة جنيه الي سعد باشا فى عدن وقالت أنها صرحت للبنوك بان تدفع هذا المبلغ

وقبل ذلك طلبت دار الحماية أيضا ارسال مائتي جنيه الى سعد باشافارسلت

***

وأخيرا

وأخيرا ، ان الكلمة التى اختم بها هذه الرسالة هي ان الوفد المصري اصدر يوم ١٠ يناير سنة ١٩٢٢ بيانا هذا نصه :

« نظراً الى انه يؤخذ من لهجة بعض الصحف وعبارات بعض الوفود ان فى البيان الذى أصدره أعضاء الوفد المصرى غموضاً فيما يتعلق باعتقال صاحب المعالي سعد باشا زغلول رئيس الوفد المصرى ومن معه وعلاقة نفيهم بتأليف الوزارة قد اجتمعنا نحن أعضاء الوفد المصرى (ما عدا عبد العزيز بك فهمي والمكباتى بك لمرضهما) المعبر عن ارادة الشعب وقررنا اننا لانؤيد أى وزارة تشكل في حدود مشروع اللورد كرزون والمذكرة الايضاحية وقبل رفع الاحكام العرفية وكل وزارة تشكل قبل غسل الاهانة التى لحقت بكرامة الامة بنفي صاحب المعالي سعد باشا زغلول باعادته هو وصحبه وكذلك عودة جميع المنفيين والمعتقلين السياسيين »

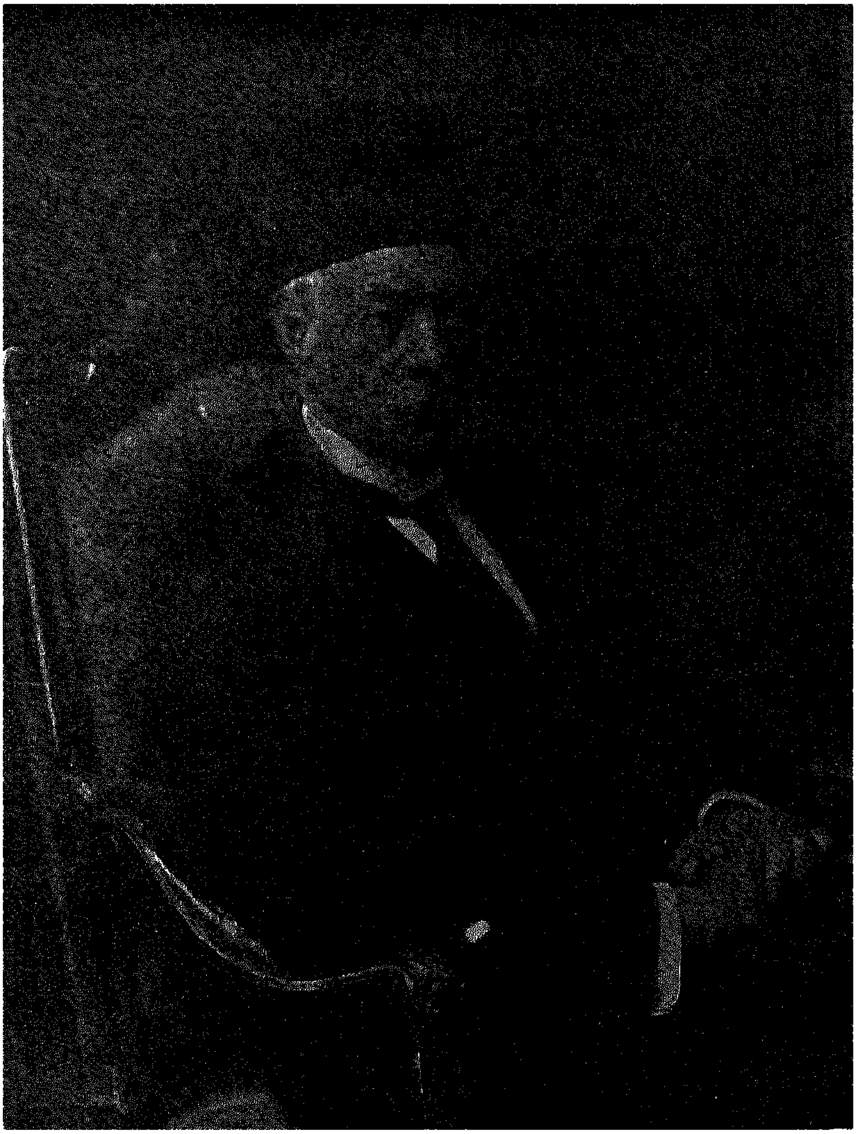
والحمد لله أولا وآخرا

٢٨ جمادى الثانى سنة ١٣٤٠ — ٢٥ فبراير سنة ١٩٢٢



سعد باشا أمام مكتبه

وفي يده اليمنى كتاب وأمامه « جريدة الاهالى » . رسمت هذه الصورة يوم ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٢١ فهى آخر صورة فتوغرافية رسمت له فى مصر قبل نفيه

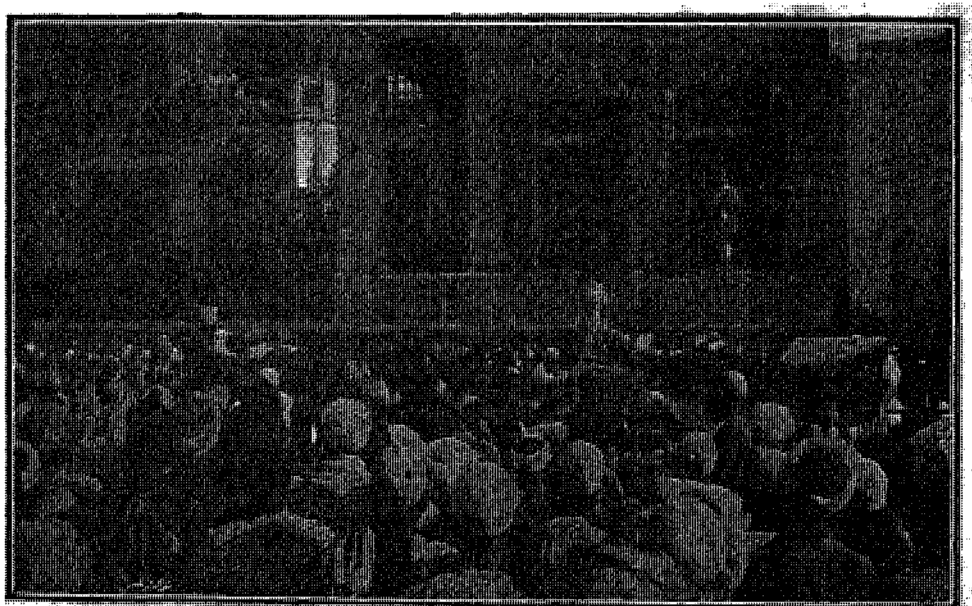


سعد باشا في كرسيه

رسمت هذه الصورة فى ٣٠ نوفبر سنة ١٩٢١

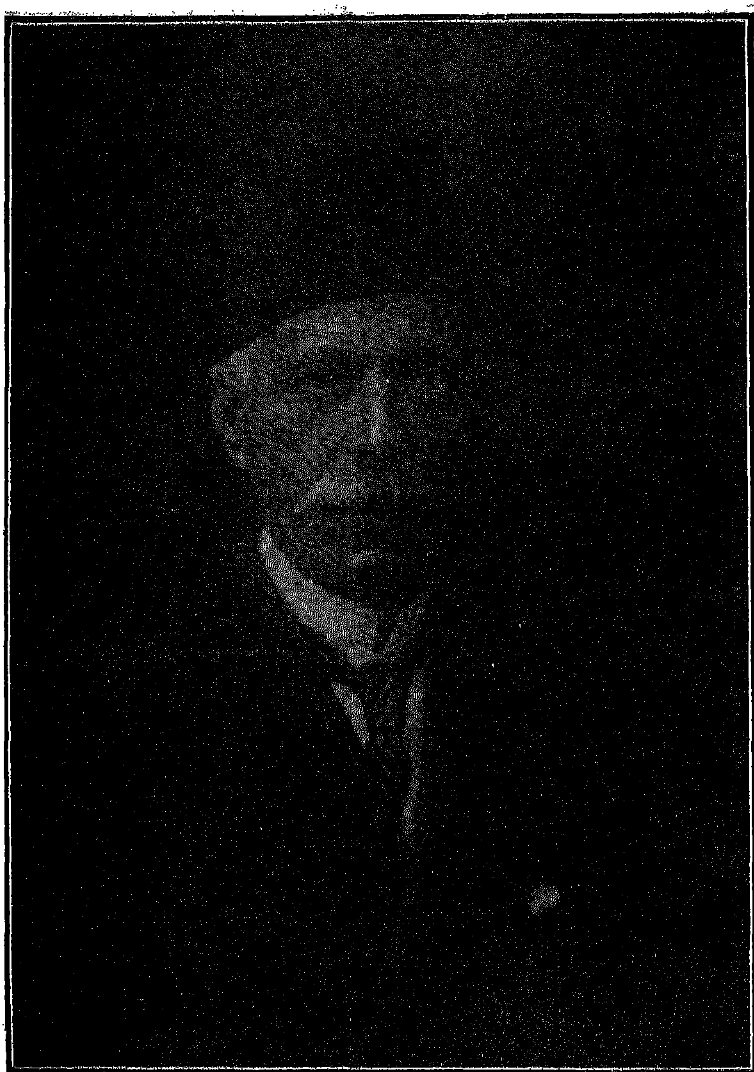


سعد باشا أمام الهرم : على يمين سعد باشا واصف غالى بك فالدكتور نجيب اسكندر فالسيد حسين القصبي . وعلى يسار سعد باشا نجيب بك الغرابلى فحنفى ناجى بك فعبدالغنى بك سليم . اما الواقفون فهم من اليمين الى اليسار : البكوات عبد المجيد الرمالى فالمحامون فهمى . أمين يوسف . مرقس حنا . فعبد الله زغلول . فزكى الشيتى . فسينوت حنا . فصادق حنين . ففتح الله باشا فالدكتور حامد محمود . فراغب اسكندر المحامى



سعد باشا يشرف من بيته

على مأتم من مآتم ضحايا المظاهرات



فتح الله بركات باشا



سينوت حنا بك



سعد باشا يخطب فى بيت السيد عبد الحميد البكرى

وعلى يساره سمو الامير عزيز حسن ثم سينوت حنا بك ثم ويصا واصف بك ثم فخرى عبد النور بك
وعلى يمينه مصطفى بك النحاس يدوّن الخطبة ثم الاستاذ ابو شادى بك المحامى



فى معسكر السويس : سعد باشا وعلى يمينه فتح الله باشا وعلى يساره ضابط انجليزى
والواقفون سينوت بك والنحاس بك وعاطف بك و مكرم عبيد (مجله سفنكس)



عاطف بركات بك



مصطفى نحاس بك



واصف بطرس غالي بك



ويصا واصف بك



صادق حنين بك